مقدمة

الإنسان آية فريدة فهو وحده عالم خاص، اجتمع له حسن الصورة وقوى الإدراك والشعور والبصيرة. ﴿ **وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ** ﴾ **[صورة الذاريات: الآيات ٢٠-٢١].**

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** ﴾ **[سورة الانفطار الآية ٧]**

﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ [سورة التين: الآية ٤]

والمراد بالخلق هو الإيجاد والإحداث، أى إبراز الشئ من العدم إلى الوجود وذلك مثل: خلق الحياة فى الكائنات الحية على ظهر الأرض التى بث فيها من كل دابة وأنبت فيها من كل زوج بهيج ومثل خلق الإنسان العاقل الذى لم يكن شيئاً مذكوراً ثم كان.

يقول عز من قائل: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ** ﴾ **[سورة الروم: الآية ٢٠]**

ويشبه الله خلق عيسى عليه السلام من غير أب بخلق آدم من تراب: ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [آل عمران: الآية: ٥٩]

أليس ذلك شيئاً فريداً تلك من آيات الله الكبرى التى يدعونا الخالق جل وعلا ان تتدبرها فنستدل على قدرته غير المحدودة وعلى أنه يفعل ما يريد بكلمة "كن" أى لتوجد "يقولها للشئ الذى لم يوجد بعد فيكون!!" قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ **[سورة النحل: الآية ٤٠]** فكلمة "كن" مقضية على الصورة التى يريدها الله وفى التوقيت الذى يحدده.

فالله سبحانه وتعالى خلق كل شئ بمقدار وميزان وترتيبات حساب بحيث يتلاءم مع مكانه وزمانه وبحيث يتناسق مع غيره من الموجودات فلا يعطل وظيفتها أو يعوق سيرها لما خلقت له وبحيث يتم بين المخلوقات كلها توازن فينظم به سير الوجود كله ﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ** ﴾ **[سورة الرعد: الآية ٨]**، ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾ [سورة الفرقان: الآية٢]

ومن الممكن أن يُخلق الشئ غير كامل، ثم يكتمل بإحسان خلقه، وإكمال صنعته بحيث يكون مهيئًا لأداء وظيفته وبلوغ كماله المقدر لنوعه وإمداده بما به صلاحه وبقاؤه والقرآن يعبر عن ذلك:

﴿ **الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾ [سورة السجدة: الآية ٧]

﴿ **صُنْعَ اللهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ** ﴾ **[سورة النمل: الآية ٨٨]**

﴿ **مَّا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ** ﴾ **[سورة الملك: الآية ٣]**

إن ادعاءات إمكانية استنساخ الإنسان – حتى أن بعض العلماء قد تطاولت ادعاءاتهم بإمكان استنساخ الأحياء والأموات كذلك إمكانية تحسين الجنس البشرى.. – ادعاءات واهمة – إن محاولة تغيير الخلقة وتبديل فطرة الإنسان والعبث بتركيبه الوراثى بحيث يمكن السيطرة عليه وتسخيره من أجل أهداف شريرة مخالف للسنن ا لإلهية ولفطرة الله التى فطرنا عليها. إذ يقول الله جل جلاله: إن محاولة تغيير خلق الله ما هى إلا استجابة لما يأمر به الشيطان. ﴿ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا** ﴾ [سورة النساء: الآيات ١١٧–١١٩]

قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ١٤].

فقدرة الله جل جلاله غير محدودة وقادرة على أن يفعل ما يريد ويخلق الإنسان والكائنات بحيث تكون مهيأة لأداء وظيفتها وبلوغها كما لها المقدر فالله جل وعلا أتقن صنع كل شئ خلقه.

فما يحدث من استنساخ للحيوان أو النبات ليس خلقاً جديداً، فالخية الحية من خلق الله، فليس هناك شئ قد خلق من عدم فالتطبيقات الإيجابية للهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية والتى تهدف إلى تغيير مستوى النبات والحيوان بحيث يستفيد منها الإنسان.. فهذا يدخل فيما أحله الله بقوله تعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ** ﴾ **[سورة الجاثية: الآية: الآية ١٣]**

فالتدخل فى سُنة من سنن الله مرفوض، وإن هناك حدودًا وضعها الله للإنسان لا يمكن تجاوزها، ولذلك لا يجب أن يأخذه الغرور فيعتقد أنه قادر على التلاعب بالحياة فقط لأنه استطاع تغيير طبيعة النبات والحيوان البيولوجية، فالله لن يترك الإنسان يعبث كما يشار لقوله تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ **[سورة يونس: الآية ٢٤].**

وأما الجانب الإيجابى للهندسة الوراثية فهو يندرج فى التصرفات الشرعية من حيث إزالة الضرر ودرء المفسدة وتحصيل النفع والحرص عليه كما هو فى نصوص الشريعة الداعية إلى التداوى وإزالة الضرر. فتخليص البشرية من أمراضها الوراثية كالعلاج الجينى للجنين فى بعض الأمراض الوراثية وكذلك العلاج الجينى لبعض الأمراض المستعصية كالسرطان وأمراض القلب والأمراض الوراثية الأخرى. فهذا هو الجانب الإيجابى للهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية.

فبالرغم من التقدم الهائل فى العلم إلا أن قدرات الإنسان محدودة وسوف تظل قدرته محدودة فبالرغم من الاكتشافات المذهلة فى الهندسة الوراثية والعلوم البيولوجية ومحاولة العلماء لتحديد الجينات المسئولة عن شيخوخة الخلية الحية والجينات المسئولة عن موتها والوصول إلى السر الذى يستطيعون من خلاله أن يطيلوا عمر الخلية ويحافظوا عليها من الهرم واستنساخ الإنسان وتصنيع الأعضاء.. إلا أن كل هذا أقل من نقطة فى محيط.. فكلما تعمقنا وتفهمنا فإن ذلك يجعلنا نشعر بضآلتنا وقلة حيلتنا أمام علم المولى عز وجل.

وفى هذا المؤلف حاولت إلقاء الضوء على إعجاز خلق الإنسان وتكوينه الفريد واكتشافاته المحدودة وآماله التى لا تتناسب مع قدراته وتطلعاته. وما يفيد البشرية من هذا العلم فى علاج الأمراض الوراثية والأمراض المستعصية بالجينات.

obeikandl.com